(٣)
مآسي المسلمين والعلاج[١]

الخطبة الأولى :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمون :

المسلمون اليوم يعيشون عصر المآسي :

كلُّ مَن يقرأ الصحف في هذه الأيام ، أو يسمع نشرات الأخبار من المذياع ، أو يشاهدها في التلفاز ، يتبيَّن له بوضوح أنَّ هموم المسلمين ومآسيهم تحتلُّ مساحة كبيرة من هذه الأنباء .

لا تكاد تخلو نشرة من النشرات ، إلا ويقرأ المسلم أو يسمع أو يرى مصائب المسلمين ومآسيهم في الشرق والغرب ، والشمال والجنوب .

هكذا قُدِّر علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نعيش عصر هذه المآسي .

مآسي المسلمين في البوسنة والهرسك :

نقرأ ، ونسمع ، ونرى ، ما يحدث للمسلمين في البوسنة والهرسك (يوغسلافيا القديمة) ، هؤلاء المسلمون الذين يدافعون عن حُرُماتهم ، وعن حقِّهم في الحياة ، وعن تقرير مصيرهم ، هؤلاء يُراد أن تُفْرض عليهم الحلول بالحديد والنار ، يُراد من هؤلاء المسلمين أن يُساقوا كالغنم سَوْقًا ، لا يكون لهم رأي ، ولا يكون لهم قرار .

القُوَّة الباطشة وحدها هي التي تتحكَّم فيها ، تنتهك الحُرُمات ، تسفك الدماء ، تهتك الأعراض ، تنهب الأموال ، تدوسُ كرامة الإنسان ، ولا يوجد مَن يدافع عن المسلمين هناك إلا بالكلام أو الاحتجاج أو الاستنكار .

---

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٨ مايو ١٩٩١م .

حينما كان غير المسلمين هم الذين يُهدَّدون من الجيش الاتحادي اليوغسلافي ، استُخدمت القوَّة ، واستُخدم النفوذ لمنع هؤلاء من ضرب الكروات ، أمَا والمسلمون هم الذين يُضربون ويُقتلون ويُذبحون ، فيُكتفى بالاحتجاج الكلامي ، وبالاستنكار اللفظي .

لقد أرسل إليَّ أحد الإخوة مجلة (التايمز) البريطانيّة ، وفيها صُور تُقطع نياط الفؤاد ، وتتفتَّت لها الأكباد ، مسلمون يُداسون بالأحذية ، الجندي الصربي يقف على رأس المسلم ، أو على ظهره ، يدوس عليه بالحذاء ، والبندقية في رأسه . المسلم يرفع يديه استسلامًا ويبكي ، وأولئك يضربونه ويصفعونه ، ولا يتركونه .

ألا يوجد مسلمون يغارون لهؤلاء المُضيَّعين ويحمونهم ؟ ألا يحتجُّ المسلمون ويصرخون صرخةً قوية ، ويقولون بملء فيهم : لا . بدلاً من هذا الكلام الهادئ الناعم ، كأن الأمر لا يهمُّهم ؟ أين المسلمون الذين وصفهم النبي ﷺ ، بأنهم « كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى »[1] .

المسلمون في البوسنة والهرسك يُداسون ، وتُنتهك حُرُمات نسائهم ، ويذبَّح أطفالهم ، ويُقتل شيوخهم ، والعالم الإسلاميُّ ساكن ساكت هادئ! سكون أهل القبور!

مآسي المسلمين في كل مكان :

مآسي المسلمين في كلِّ مكان ، المسلمون في بورما أُخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ إلا أن يقولوا ربُّنا الله ، وهامُوا في الأرض ، لا يجدون بلدًا تؤُويهم ، حتى إخوانهم وجيرانهم في بنغلادش ، لم يفسحوا لهم صدورهم ، بدعوى أنَّ لديهم من المشكلات ، ومن المصائب ، ومن المجاعات ما يكفيهم .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الأدب (٦٠١١) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، كما رواه أحمد (١٨٣٧٣) ، عن النعمان بن بشير .

نجد مآسي المسلمين هنا وهناك ، في كلِّ منطقة من الأرض ، في كلِّ محاكم الأرض يشتكي المسلمون ، كما قال الشاعر :

في كـــلِّ محكمـــة قضـــيَّة مســـلم يشـــكو بليَّتـــه لغـــير المســـلم
ومن الرزيَّـــة أنَّ حـــزب محمـــد قد أصبحوا نـــهبًا لحزب جهنَّم[1]

هكذا أصبحنا ـ نحن المسلمين ـ نهبًا وغرضًا للطَّامِعين في أنحاء الأرض : اليهود من ناحية ، والصليبيين من ناحية ، والشيوعيين من ناحية ، والوثنيين من ناحية . هؤلاء اختلفت مِلَلهم ونِحَلهم ولكن اتَّفقوا علينا نحن المسلمين ، فالكفر ـ كما قال فقهاؤنا ـ ملَّة واحدة ، والله تعالى يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ (الأنفال:٧٣)، ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ (الجاثية:١٩)، اختلفوا فيما بينهم واتَّفقوا علينا .

الوثنيَّة تتنكَّر للمسلمين ، والوثنيُّون يضربون المسلمين هناك في الهند ، وفي سيلان ، وفي غيرها .

والشيوعيّة لا زالت إلى الآن ـ للأسف ـ في الجمهوريَّات الإسلامية الآسيوية . سقطت الشيوعية في روسيا ، وفي أوربا الشرقية ، ولكن لا زالت إلى الآن في الجمهوريات الإسلامية ، الحكَّام الذين كانوا يحكمون في أيام الإمبراطورية الشيوعية السوفيتية لا زالوا يتحكَّمون في هذه الجمهوريات ، بتأييد من الغرب! ولهذا رأينا ما رأينا في طاجيكستان[2].

المسلمون بحاجة إلى مَنْ يقف معهم :

لا بدَّ للمسلمين أن يتخلَّصوا من هؤلاء الطواغيت ، لكنهم في حاجة إلى مَنْ يشدُّ أزرهم .

---

(١) البيتان للشاعر خالد الجرنوسي ، في قصيدة ألقاها بدار الشبان المسلمين ، في يوم كشمير ، ومطلعها :

يا يوم كشمير تحيـــة مســـلم مطلولة عبرى ترقرق بالـــدم

(٢) أعلنت طاجيكستان استقلالها عن (الاتحاد السوفيتي) عقب انهياره عام ١٩٩١م ، ولكن الحزب الشيوعي أصر على البقاء في السلطة ، والادعاء بأنه يمثل الشعب الطاجيكي .

الإخوة في فلسطين ، في أرض النبوّات ، في الأرض المقدّسة ، يعانون ، وهؤلاء الشباب الإسلامي ـ الأصوليون كما يسمّونهم ـ يدافعون عن حُرُماتهم ، عن دينهم ، عن أرضهم ، عن مُقدّساتهم ، ولكن أين العرب؟ وأين المسلمون في أنحاء العالم؟ إنهم يتكلّمون عن السلام ، وعن مؤتمر السلام الذي نسمع عنه . يتكلّمون عن السلام ، و(شامير) شامخٌ بأنفه ، مُصعِّر خدَّيه ، ثانٍ عطفيه ، يتكلّم من عَلٍ ، ويفرض شروطه ، ويُملي ما يريد ، والآخرون يلهثون وراءه ، يَتَسوَّلون منه السلام ، والسلام لا يُتسوَّل ، إنما يُفرض . الحلول لا تُشحذ ، الحلول إنما تُفرض فرضًا ، ما أُخذ بالسيف لا يُرَد إلا بالسيف . ستثبت الأيام هذا ، كما أثبت ذلك التاريخ .

ليتنا نتعلّم من أعدائنا :

إنَّ هؤلاء اليهود لا يمكن أن يَدَعُوا شبرًا أخذوه إلا إذا أُجبروا عليه ، إنهم يتكلّمون مع أمريكا كلام الندِّ للندِّ ، والسيِّد للسيِّد ، فليتنا نتعلّم منهم ، ليتنا نتعلّم من أعدائنا ونتكلّم بعزّة صاحب الحقِّ ، نتكلّم بقوّة صاحب الدار أمام اللصوص ، مهما كانت قوّتهم ، ومهما كان سلاحهم .

اليهودية تعمل عملها ، ولا زالت تبني المستوطنات وتتوسّع ، ولا تبالي بما يقول القائلون ، وما يحتجُّ به المحتجُّون .

اصطناع الصليبيَّة لعدوّ جديد :

الصليبية في العالم تعمل عملها في كلِّ مكان ، بعد أن سقطت الشيوعية كتب الكاتبون منهم أنهم في حاجة إلى عدوٍّ جديد يبرزونه أمام شعوبهم ، حتى يُشعل الجذوة في الانتخابات ، وفي الصراع ، لا بدَّ لهم من عدوٍّ ، هذا العدوُّ ـ كما يحكون باستمرار ـ هو الإسلام! الإسلام هو الخطر في نظرهم ، يتمثّلونه خطرًا على مستقبلهم رغم ضعف المسلمين ، ورغم تمزُّق المسلمين !

الكيد لأمة الإسلام والمكر بصحوتها :

إنهم يخافون من الإسلام الزاحف ، ولهذا يكيدون لأمته كيدًا ، ويمكرون

بصحوته مكرًا ، ويُوقعون بين الشعوب بعضها وبعض ، وبين الحكَّام والشعوب ، وبين الحكَّام والعلماء ، حتى يُمزِّقوا الصفَّ تمزيقًا ، هذا ما رأيناه في كلِّ مكان .

إنهم يريدون أن يوقعوا المسلمين في مشكلات لا تنتهي ، نخرج من أزمة لنقع في أزمة ، ومن كارثة لنسقط في كارثة ، ومن محنة لنواجه محنة ، وهكذا .

انظر ما يُبيِّتونه الآن لليبيا . نحن لا نوافق على سياسة النظام الليبي وموقفه أحيانا من الإسلام والمسلمين ، ولكنا لا نرضى أبدًا أن يُعامل بلد بمثل هذا ، وأن يُجبَر على أن يُسلِّم من أبنائه مَن يحاكم في بلد آخر[1] ، ولم يفعلوا هذا مع غيره من الدول .

ولكن ـ نحن المسلمين ـ أصبحنا هدفًا وغرضًا لكلِّ نابل ، ولكلِّ مَن يريد أن يضرب بسهم . هكذا أصبحت بلاد المسلمين ، وشعوب المسلمين .

وجوب تجمُّع الأمة وتكتُّلها تحت قيادة واحدة :

نقرأ في الصحف عن المسلمين في كلِّ مكان ، فنشعر بالأسى ، ونشعر بالهمِّ ، وتكوينا مشاعرُ الحزن على مصاير هذه الأمة . وهذا ما ينبغي أن يصنعه كلُّ مسلم، لا يجوز أن نعيش وحدنا ، ولا نفكِّر في إخواننا أهل الإسلام .

لا يستطيع بلدٌ ما ، ولا مجموعة من البلدان أن تعيش وحدها في هذا العالم ، ولو أجاز الدين ذلك ، لم يُجِز لنا الواقع ذلك . الواقع يقول : إنَّنا نعيش في عصر التجمُّع والتكتُّل ، والناس ينضمُّ بعضهم إلى بعض ؛ ليكوِّنوا مجموعات اقتصادية وعسكرية وسياسية ، وهم ليسوا بالضعفاء ، حتى نقول : الضعيف إلى الضعيف يُقوِّي بعضه بعضا . لكنهم أقوياء ، يريدون أن يزدادوا قوَّة . من أجل هذا قامت السوق الأوربية ، وهي الآن تريد أن تتحوَّل من سوق اقتصادية إلى كتلة سياسية .

---

(١) وقد أُجبرت ليبيا تحت ضغط الغرب على تسليم المتَّهمين في قضية (لوكربي) ، ليحاكموا في لاهاي ، وأُجبرت على دفع تعويض لأسر الضحايا بلغ ثلاثة مليارات دولار تقريبًا، وبعد غزو العراق أُجبرت أيضًا على تفتيت برنامجها النووي ، وتسليم كل مايتعلَّق به من ملفات للولايات المتحدة الأمريكية .

نحن المسلمين وحدنا الذين نتفرَّق ونتمزَّق، ونتجافى ونتعادى، بل ربَّما نتقاتل، مع أنَّ ديننا يفرض علينا أن نتَّحد، يفرض علينا أن يضع كلٌّ منا يده في يد أخيه، الإسلام فرض الجماعة كلَّ يوم خمس مرَّات، وفرض الجمعة في كلِّ أسبوع، ودعا إلى العيد مرَّتين في كلِّ عام، وشرَعَ لنا الحجَّ ليكون مؤتمرًا للأمَّة كلِّها، تتلاقى فيه على اختلاف أجناسها وألوانها، وأوطانها وطبقاتها، فتذوب الفوارق بين أبنائها، ولا يُعرف غنيٌّ من فقير، ولا مأمور من أمير، ولا ذو إقليم من ذي إقليم آخر.

ضياع الخلافة وتمزُّق بلاد المسلمين:

الإسلام يريد أن يُوحِّد هذه الأمة، ومن أجل هذا جعل الخلافة فريضة. الخلافة ليست مُجرَّد حكم إسلاميٍّ، الخلافة هي القيادة المركزية لهذه الأمة؛ لتكون تحت خليفة واحد يناديها في الملمَّات أن تتساند وتتَّحد.

للأسف ضاعت الخلافة، سعى أعداء الإسلام وعلى رأسهم اليهود في تحطيم هذه القلعة، وهتك هذه المظلَّة، فأصبح المسلمون عرايا لا مظلَّة لهم، ولا قلعة تحميهم، وتفرَّقوا دولاً ودُوَيْلات، تحت قوميَّات شتَّى، وإقليميَّات مختلفة. بعد أن كانوا دولة واحدة أصبحوا بضعًا وثمانين دولة، يضمُّها ما يُسمَّى (المؤتمر الإسلامي)! لم يجدوا اسمًا يضمُّ جماعة المسلمين له شأن وله قوَّة، وله إيحاء. في الأول اقترحوا تسميته بـ(جامعة الدول الإسلامية)، على غرار (جامعة الدول العربية)، فاعترض البعض ـ ممَّن حضر ذلك المؤتمر الذي دعا إليه الملك فيصل رحمه الله، وجزاه خيرًا عن أمَّته ـ وقالوا: نحن لسنا دولاً إسلامية، نحن دول علمانية فكيف تسمُّوننا دولاً إسلامية؟ واتَّفقوا أخيرًا على أن يُسمُّوا هذا الكيان (منظمة المؤتمر الإسلامي)! تصوَّروا: اسم لا معنى له، ليس منظَّمة الدول الإسلامية، ولا منظَّمة الحكومات المسلمة، ولا منظَّمة بلاد المسلمين، ولكن: منظَّمة المؤتمر الإسلامي، أي: المؤتمر الذي دعا هذه الدول للحضور!

ماذا يصنع المؤتمر الإسلامي أمام هذه الأحداث؟ المفروض أن تكون للمسلمين قيادة واحدة، ولا عَجَب، إذا كان المسلمون في العالم ألف مليون أو أكثر من ألف

مليون ، فهناك دولة واحدة في العالم عدد سكَّانها أكثر من ألف مليون ، وهي دولة (الصين) . ما المانع أن يكون للمسلمين كيان يقودهم ويجمع شتاتهم : فيدرالي ، كونفدرالي ، إلى آخر ما يسمُّونه في عصرنا .

الإسلام الصحيح أساس الوحدة :

أما هذا الذي يسمُّونه (التضامن الإسلامي) ، فهو ليس بتضامن حقيقيٍّ ، أين هو التضامن الإسلامي ونحن نرى المسلمين مختلفين فيما بينهم ، والعرب مختلفين فيما بينهم؟! وسيظلُّون كذلك . الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجمعهم وأن يُوحِّدهم هو أن يَتَنادَوْا جميعًا بالرجوع إلى الإسلام الصحيح ، باتخاذ الإيمان هاديًا ، بتحكيم شريعة الله ، باتِّخاذ القرآن منهاجًا وإمامًا . هنا تتوحَّد طرائقهم ومناهجهم ، كما اتَّحدت قِبلتهم وعقيدتهم ، وهذا هو الذي يقول الله تعالى فيه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٣).

هناك سُبُل على رأس كلٍّ «سبيل منها شيطان يدعو إليه»[1]، هذا يدعو إلى اليمين ، وهذا يدعو إلى اليسار ، وهذا يدعو إلى يمين اليمين ، وهذا إلى يسار اليسار ، وإلى يسار اليمين ، وإلى يمين اليسار! إلخ ، كلُّها ستُفرِّق المسلمين بَدَدًا ، الذي يجمعهم : هو شريعة الإسلام ، الفهم الصحيح لها ، الالتزام المستنير بتطبيق أحكامها ، والوقوف عند حدودها ، الفقه الوسطي لمنهجها هذا هو الذي يجمع الأمة ، ويجعلها أمة واحدة كما أمر الله ، وليست أممًا كما يريد أعداء الإسلام .

الله تعالى يقول : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:١١٠) ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣) ، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون:٥٢)، فكيف تتفرَّق الأمَّة وتصبح أممًا ؟

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٤ .

سعي أعداء الإسلام لتمزيق الأمة المسلمة :

إنَّ أعداء الإسلام يريدون أن يُمزِّقوا هذه الأمة، وأن يُفرِّقوا أبناءها شِيَعًا وأحزابًا، وليس اللوم على هؤلاء ، فهذا هو المتوقَّع منهم ، إنما اللوم علينا نحن المسلمين ، وليس عُذرًا لنا أن نقول : إنَّ أعداء الإسلام يُخطِّطون لنا ، ويمكرون بنا ، ويكيدون لنا . ليس هذا عذرًا ، لماذا نسمع لهم ؟ لماذا أصبحنا فرائس لمكرهم ؟ لماذا لا نكون أوعى منهم؟ لماذا لا نُحصِّن أنفسنا ضدَّ هذه المكايد؟ وإنما نُحَصِّن أنفسنا بالإسلام ، الإسلام الذي جعل الأخوَّة بنت العقيدة : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا** ﴾ (الحجرات:١٠)، فإذا وُجد الإيمان وُجدت الأخوَّة ، وإذا انتفت الأخوَّة معناه أننا لسنا مؤمنين حقًّا .

مظاهر كيد الأعداء للمسلمين :

إنَّ أعداء الإسلام يكيدون ، وهذا ما لاحظناه في كلِّ مكان .

حينما كنا قبل أسبوع في (بيشاور) للقيام بمحاولة للتوفيق بين الإخوة الأفغان ، لاحظنا أن أعداء الإسلام يريدون أن يفرِّقوا ويمزِّقوا بين الصفوف ، تارة يثيرونها قبلية جاهلية بين أصحاب الأصول الفارسية من الطاجيك والبشتو ، وأصحاب الأصول التركية من الأزبك والتركمان ، وتارة يقسِّمونهم تقسيمًا آخر فيقولون : السنَّة والشيعة ، والسنَّة منهم المعتدلون ومنهم الأصوليون ، والأصوليون منهم المتشدِّدون ومنهم المتساهلون . والشيعة أقسام وألوان ، منهم الغلاة ، ومنهم المعتدلون ، تقسيمات لا تنتهي ، الهدف منها تمزيق هؤلاء المجاهدين .

تحذيري للإخوة الأفغان من التنازع :

ولذلك حذَّرنا إخواننا هناك : أن يعُوا هذه المكايد ، وأن يكونوا أبصر بالحقائق ، وأن يتَّقوا الله في أنفسهم وإخوانهم وجهادهم ، ولا يُشوِّهوا صورةَ هذا الجهاد العظيم ، الذي بيَّض وَجْهَ المسلمين ، وذادَ عن حُرُمات هذه الأمة ، وكان خطَّ الدفاع الأول أمام زحف الشيوعية إلى باكستان وإلى الخليج . هذا الجهاد العظيم قدَّم مليونًا ونصف مليون من الشهداء ، ورفع راية الإسلام ، فالتفَّ حوله المسلمون

في أنحاء الأرض ، وشارك مَن شارك منهم في هذا الجهاد ، وانضم من انضم منهم إلى كوكب الشهداء .

قد قلتُ للإخوة وللقادة هناك : إنَّ المسلمين لهم حقٌّ في هذا الجهاد معكم ، فليس الجهاد جهادكم وحدكم ، كلُّ المسلمين كانوا معكم ، وإنما كانوا معكم لأنكم رفعتم راية (لا إله إلا الله محمَّد رسول الله) ، أمسكتم بالمصاحف وقلتم : يا رياح الجنَّة هُبِّي . وناديتم بالإسلام ، ودافعتم عنه ، فلهذا تحمَّس لكم المسلمون ، تحمَّس لكم الرجل ، وتحمَّست لكم المرأة في خِدْرها ، تحمَّس لكم الكبار ، وتحمَّس لكم الصغار ، وجاء من جاء من أبناء المسلمين ـ ومن أبناء العرب ، ومن أبناء الخليج ، ومن أبناء قطر ـ متطوِّعًا معكم . هناك عدد من أبناء قطر استشهدوا في أفغانستان ، وهذا ـ والحمد لله ـ فضل من الله عظيم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩) ، وهذا ما تُباهي به قطر ، وتغالي به .

ومَن لم يذهب بنفسه فقد بذل من ماله ، هناك مَن بذل الكثير ، وهناك مَن بذل القليل ، كلٌّ على قدره ، «مَن جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا ، ومَنْ خَلَفه في أهله بخير فقد غزا»[1] . والجهاد بالمال هو أحد نوعي الجهاد في القرآن : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة:٤١)، ومَن لم يستطع أن يذهب بنفسه ، أو يبذل من ماله ، كان معكم بقلبه ولسانه ، كان يدعو لكم ، في صلواته وخلواته وسجوده ، وفي ساعات السحر : أن ينصركم الله على عدوِّكم .

فالجهاد ليس جهادكم وحدكم ، وإنما هو جهاد المسلمين في كلِّ مكان ، فاتَّقوا الله في هذا الجهاد .

---

(١) متفق عليه : البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣) ، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥) ، كما رواه أحمد (١٧٠٣٩) ، وأبو دود (٢٥٠٩) ، والترمذي (١٦٢٨) ، والنسائي (٣١٨٠) ، وابن ماجه (٢٧٥٩) ، أربعتهم في الجهاد ، عن زيد بن خالد الجهني .

والحقُّ أنَّ الإخوة من قادة الجهاد كانوا متجاوبين معنا كلَّ التجاوب ، وواعدونا بالفعل أن يحاولوا رأب الصَّدع ، وتجنُّب الخلاف ، وتفادي الفتن . وطلبنا منهم أن يذهبوا إلى (كابل) ، ويسارعوا بالذهاب لقطع الطريق على المؤامرات التي تُدبَّر ، وقد ذهبوا بالفعل .

ومن البشائر ، والحمد لله : اتصل بعض إخوتنا بالهاتف هناك ، وجاء بأخبار مطمئنة ، قال : إنَّ القادة جميعًا قد اتَّفقوا على أن تكون السلطة في أيديهم ، ولا بد للمليشيات الشيوعية إما أن تخرج من كابل ، وإما أن تُسلِّم أسلحتها ، واتفقوا على وقف إطلاق النار ، والحمد لله ، كما اتَّفقوا مع حكمتيار والحزب الإسلامي اتفاقات جيِّدة ، نرجو من ورائها خيرًا إن شاء الله ، وهذا أملنا فيهم . لا تسمعوا ـ أيها الإخوة ـ لتشكيك المُشكِّكين في هذا الجهاد ، فهو جهادٌ عظيمٌ إن شاء الله ، وأملنا أن يبارك الله خُطى هؤلاء ، وأن يُؤيِّدهم بنصرٍ من عنده ، وأن يقرَّ أعيننا بانتصار الإيمان ، وقيام دولة الإسلام هناك إن شاء الله .

البشائر بانتصار الإسلام :

المصائب كثيرة ، والهموم كبيرة ، والمآسي في كلِّ مكان ، ولكن البشائر أيضًا بانتصار الإسلام من وراء هذا في كلِّ مكان .

المعركة مستمرَّة بين الحقِّ والباطل ، بين الإيمان والكفر ، بين الإسلام والجاهلية ، معركة بكلِّ سلاح قد تصل إلى القتال أحيانًا ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ (البقرة:٢١٧) ، وهذا القيد : ﴿ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ ، هو الذي يطمئننا ، و﴿ إِنِ ﴾ ، كما يقول علماء اللغة والبلاغة تفيد التشكيك ، أي : إنهم لن يستطيعوا إن شاء الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ (التوبة:٣٢) . ونور الله هو الإسلام ، يريدون أن يطفئوه بأفواههم ، كما يريد الإنسان أن يطفئ الشمس بنفخة من فمه ، وهيهات هيهات ، ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:٣٢) ، ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ ﴾ هذا الإباء الإلهي لهذه المحاولات من أعداء الإسلام ، هو الذي يطمئن قلوبنا ، ويُبشِّرنا بأن الإسلام إلى خير .

مهما كانت المصائب ، ومهما كانت الهموم ، ومهما قرأنا عن أحوال المسلمين في كلِّ مكان ، سينتصرُ الإسلام رغم ما نراه اليوم ، فالإسلامُ حتى في حال ضعفه قوَّة مُرْهبة ، وإلا : لماذا خافوا أن تقوم للإسلام دولة في الجزائر ؟ لماذا تآمر المتآمرون على الديمقراطية في الجزائر؟

خوف أعداء الإسلام من الأصوليين :

إنهم يخافون من الأصوليين ، وما معنى أصولي؟ أصوليٌّ معناه : المتمسِّك بالأصول . وهل حُرِم الناس الوصول إلا بتضييع الأصول؟! الأصول إذا كانت هي التمسُّك بالقرآن والسنة ، والعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح ، فهذه هي الأصول التي يجب على كلِّ مسلم أن يتشبَّث بها ، ويستمسك بعُراها الوثقى .

الإسلام يرفض العنف ويرفض مصادرة حرمة المسلمين :

نحن نرفض العنفَ الفردي والجماعي ، نرفض التطرُّف في فَهم الإسلام ، نرفض قتل امرئ بغير حقٍّ ، نرفض حَمْلَ السلاح في وجه إنسان لا حَوْل له ولا قوَّة ، نرفض مثل هذه الأعمال الفردية ، أو الجماعية التي لا معنى لها ، ولا يقول عالم مسلم متفقِّه بجوازها . ولكنا بجوار هذا نرفض أن يُفرض على المسلمين ما لا يريدون ، وأن يقف الناس ضدَّ الشعوب المسلمة فيما تريده لنفسها . نريد أن تُترَك للشعوب المسلمة حرية تقرير مصيرها ، ونريد أن يُترك للناس حرية اختيار الإسلام ، فلا حلَّ لكلِّ المشكلات التي نعانيها إلا بالإسلام .

والله لن نتوحَّد من فرقة ، ولن نقوى من ضعف ، ولن نطعم من جوع ، ولن نأمن من خوف ، ولن نعزَّ من ذلٍّ ، ولن نسعد من شقاء ، ولن نخرج من حالة الوباء والاضطراب والتفسُّخ الذي نحن فيه إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح المتكامل : عقيدةً وشريعة ، وأخلاقًا وحضارةً ، ومنهاجًا كاملاً للحياة ، هذا وحده هو الذي ينقذ هذه الأمة .

وحدة الأمة واجتماع قادتها لحلِّ مشكلاتها من منافع الحج :

نحن الآن في موسم الحجِّ ، والحجُّ لماذا شرعه الله عزَّ وجلَّ؟ لمصلحته هو؟ الله ليس له مصلحة في أيِّ عبادة من العبادات ، إنما شرعه لمصالح عباده ، كلُّ العبادات لمصلحة الناس ، وفي الحجِّ قال : ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾ (الحج:٢٨) ، ومن هذه المنافع : أن يجتمع قادة المسلمين وأهل الرأي منهم ويبحثوا في أحوال المسلمين ، وما ينبغي أن يعملوا لها ، وكيف يضعون الحلول لمشكلاتها؟ ويحاولون أن يجدوا لها طبًّا ودواءً من صيدليَّة الإسلام ، فـ«ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء»[1]. الإسلام عنده لكلِّ مشكلة حلٌّ ، لكلِّ داء دواء ، لكلِّ مرض علاج ، فهذا هو الشفاء الذي جاء به هذا القرآن : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء:٨٢) .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُلهم المسلمين الرُّشْد ، وأن يُبَصِّرهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وما يجمع كلمتهم على الهدى ، وقلوبهم على التقى ، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل . اللهم آمين .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٨)، والنسائي في الكبرى (٧٥١٣)، وابن ماجه (٣٤٣٩)، ثلاثتهم في الطب ، عن أبي هريرة .

(٤)

الأخوة الإسلامية[١]

الخطبة الأولى :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمون :

الأخوة الإسلامية أساس المجتمع الصالح :

جاء الإسلام ليبنيَ المجتمعَ الصالحَ ، كما يبني الفرد الصالح . والمجتمعُ الصالحُ الذي يبنيه الإسلام ويؤسِّسه على تقوى من الله ورضوان ، يقوم أوَّل ما يقوم على الأخوة الإسلامية ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠) ، فلا يكون المؤمنون إلا إخوة فيما بينهم ، إذا لم يجدوا هذه الأخوَّة بينهم ، فلا بدَّ أن يرتابوا في إيمانهم ، لا بدَّ أن إيمانهم قد داخله شيء ، فـ« المؤمن أخو المؤمن »[٢] ، و« المسلم أخو المسلم »[٣] .

حال المجتمعات قبل الإسلام :

لقد جاء الإسلام في مجتمعات متصارعة ، منقسمٌ بعضها على بعض ، لأسباب شتَّى :

ينقسم الناس في بعض المجتمعات بحسب الأجناس ، فهذا عربيٌّ وذاك عجميٌّ ، وينقسم العرب فيما بينهم إلى قسمين ، فهذا من العرب العرباء ، وهذا من المستعربة ، وهذا من عرب الجنوب ، وهذا من عرب الشمال . وفي بعض المجتمعات بحسب الألوان ، فهذا أبيض وذاك أسود .

---

(١) أُلقيت في جامع الفاتح بالبحرين في ١٥ شوال ١٤١٨ هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٩٨م .

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤١٤) ، وابن ماجه في التجارات (٢٢٤٦) ، عن عقبة بن عامر .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، كما رواه أحمد (٥٦٤٦)، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٣)، والترمذي في الحدود (١٤٢٦)، عن ابن عمر .

وفي مجتمعات أخرى ينقسم الناس بحسب الطبقات ، فهؤلاء أغنياء وهؤلاء فقراء ، وهؤلاء سادة وهؤلاء سوقة .

وبعضهم يُورِّث الطبقية ، يولد الإنسان في طبقة ، ويعيش عمره فيها ، لا يستطيع أن يترقَّى منها إلى غيرها ، كما في الهندوسية ، الناس أربع طبقات : طبقة خُلقوا من رأس الإله ، وطبقة خُلقوا من ذراعي الإله ، وطبقة خُلقوا من ركبتي الإله ، وطبقة خلقوا من قدمي الإله ، وطبقة أخرى لا تدخل في هؤلاء هي طبقة الأنجاس المنبوذين . وكلُّ إنسان في طبقته لا يعدوها .

عناصر الأخوة :

وللأخوة الإسلامية ـ التي يقوم عليها المجتمع المسلم ـ عناصر أساسية هي :

أولاً : المساواة :

جاء الإسلام والناس ينقسمون هذه الانقسامات : هناك نُبلاء ، وهناك أشراف ، وهناك عبيد ، وهناك أناس لا يُحسب لهم أيُّ حساب ، ولا يُقام لهم أيُّ وزن .

جاء الإسلام ليُلغي هذه الفوارق كلَّها ، ويعلن في الناس هذه الحقيقة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣) .

الخالق واحد ، الصانع واحد ، والمادَّة التي صُنع منها الجميع واحدة : من ذكر وأنثى ، فَعَلام يتفاوت الناس؟ لا معنى للتفاوت إلا بالتقوى ، والتقوى إنما يُكرَّم الإنسان بها عند الله ، لا يجوز لأحدٍ أن يقول : أنا تقيٌّ فأكرموني لتقواي . لأن التقيَّ لا يقول عن نفسه : إنه تقيٌّ ، والرسول يقول : « التقوى ههنا »، وأشار إلى صدره[1]، تقوى القلوب .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٤) ، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) ، كما رواه أحمد (٧٧١٣) ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٣٣) ، عن أبي هريرة .

في حَجَّة الوداع ، وفي جموع الحجيج الهائلة يقول النبي ﷺ : « أيُّها الناس ، إنَّ ربَّكم واحد ، وإنَّ أباكم واحد ، كلُّكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجميٍّ ، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى »[1] ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات:١٣) ، ربُّكم واحد ، وأبوكم واحد ، الجميع شركاء في العبوديَّة لله ، وشركاء في البنوَّة لآدم ، فعلامَ يستعبد بعضكم بعضًا ؟ وعلام يستذلُّ بعضكم بعضا؟ وعلام يستعلي بعضكم على بعض ؟

أول عناصر الأخوَّة التي جاء بها الإسلام هي : المساواة « الناس سواسية كأسنان المشط الواحد »[2].

لا يجوز لأحد أن يفخر على أحد بنسب ، أو مال ، أو عنصر ، أو لون ، كما يقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (المؤمنون:١٠١).

لا نسب : إنَّ الله خلق الجنة لمَن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيًّا ، وخلق النار لمَن عصاه ولو كان شريفًا قرشيًّا[3] ، « مَن بطَّأ به عمله ، لم يُسرع به نسبه »[4] .

المساواة المطلقة في الإنسانية ، أول عناصر الأخوة :

أزال الإسلام كلَّ الفوارق ـ العنصرية ، اللونية ، الجنسية ، الطبقية ، اللغوية ، الإقليمية ـ بين الناس جميعا ، ووضعهم على قدم المساواة بعضهم مع بعض ، « كلُّكم لآدم ، وآدم من تراب ».

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩) ، وقال مخرجوه : إسناده صحيح ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، عمَّن سمع النبي (٥٨٦/٣) .

(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب (١٩٥)، وابن عدي في الكامل (٢٨٤/٣) ، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣١٥٨) ، عن أنس بن مالك .

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخه (٣٥٩/٤١) ، عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

(٤) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧) ، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٦)، والترمذي في القراءات (٢٩٤٥)، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٥)، عن أبي هريرة .

ثانيًا : المحبة :

ومن عناصر هذه الأخوَّة : المحبَّة . إذا كنتَ أخي وأنا أخاك ، فلا بدَّ أن يحبَّ بعضنا بعضًا ، أنا منك وأنت منِّي ، يَسُرُّني ما يَسُرُّك ، ويسوؤني ما يسوؤك ، أفرح لما ينالك من خير ، وأحزن إذا شاكتك شوكة . هذه هي الأخوة ، هي المحبَّة .

وقد عبَّر عن ذلك النبي ﷺ فقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه »[1] ، وبالتالي يكره له ما يكره لنفسه . إذا أحببتَ لنفسك الغنى فأحبب لأخيك الغنى ، إذا أحببتَ لنفسك البنين فأحبب لأخيك البنين ، إذا أحببتَ لنفسك الستر فأحبب لأخيك الستر ، وهكذا .

« لا يؤمن أحدكم » : لا يتحقَّق له الإيمان الصَّادق ، إلا إذا أحبَّ أحدكم لأخيه ما يحبُّ لنفسه .

منزلة الإيثار :

وقد يرتقى عن هذه المنزلة إلى منزلة أسمى وأعلى : هي منزلة الإيثار ، أن تُقدِّم أخاك على نفسك ، أن تجود له بالشيء وأنت محتاج إليه ، أن تسهر لينام ، أن تتعب ليرتاح ، أن تُعرِّض صدرك للرصاص لتفديَه وتحميَه . وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ ، وهكذا وصف الله الأنصار بقوله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر:٩) . وقد وصف واصف الأنصار بقوله : يكثرون عند الفزع ، ويقلُّون عند الطمع[2]. عند المطامع والغنائم يقلُّون ، وعند المخاوف والفزع يكثرون ، هؤلاء هم الرجال .

في إحدى معارك الفتح الإسلامي معركة اليرموك ، أصيب جماعة ، جُرحوا ، وكانوا في حالة احتضار ، والإنسان في هذه الحالة يشتاق إلى الماء ، فنادى بعضهم : هل من ماء؟

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان ، كما رواه أحمد (١٢٨٠١)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٥)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠١٦)، وابن ماجه في المقدمة (٦٦) ، عن أنس .

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٦٦/١٤) ، وعزاه للعسكري في الأمثال .

يروي حبيب بن أبي ثابت القصة ، فيقول : خرج الحارث بن هشام وعكرمة ابن أبي جهل وعيَّاش بن أبي ربيعة يوم اليرموك حتى أثبتوا ، فدعا الحارث ابن هشام بماء ليشربه ، فنظر إليه عكرمة ، فقال : ادفعه إلى عكرمة . فلما أخذه عكرمة نظر إليه عياش فقال : ادفعه إلى عياش . فما وصل إلى عياش حتى مات ، وما وصل إلى أحد منهم حتى ماتوا وما ذاقوه[1]. ماتوا جميعًا عطاشًا ، كلُّ واحد منهم في حاجة إلى شَربة الماء ، ولكنه آثر أخاه على نفسه ، كل واحد منهم قال : اذهب بهذه الكأس إلى أخي لعله أحوج إلى الماء مني . بهذه الرُّوح انتصر المسلمون .

الأخوَّة مساواة ، والأخوَّة محبَّة ، والأخوَّة كذلك وحدة .

ثالثًا : الْوَحْدَة :

والأخوَّة وَحْدَة : أنا وأخي كتلة واحدة ، لا يجوز أن نختلف ولا أن نتفرَّق ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٣)، ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(الأنفال:٤٦)، وقال ﷺ : « لا تختلفوا فإن مَن كان قبلكم اختلفوا فهلكوا »[2] .

فهذا مقتضى الأخوَّة : الاتحاد ، حتى لا يختلف بعضنا مع بعض ، وأن ننسى ما يفرِّق بيننا ، ونذكر ما يُجمِّعنا . لا مانع أن تختلف آراؤنا ، ولكن لا تختلف قلوبنا .

نحن أهل قبلة واحدة ، ربُّنا واحد ، نبُّينا واحد ، كتابنا واحد ، عباداتنا واحدة ،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٥٩/٣) ، والحاكم في معرفة الصحابة (٢٧٠/٣) ، وحذفه الذهبي من تلخيصه لضعفه ، والبيهقي في الشعب باب الزكاة (٣٤٨٤) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤٨/٤٧).

(٢) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠) ، وأحمد (٣٩٠٨) ، عن ابن مسعود .

شريعتنا واحدة ، قبلتنا واحدة ، أهدافنا واحدة ، فلماذا يخالف بعضنا بعضًا؟ ولماذا نتفرَّق فيما بيننا؟ هذا ما لا يجوز من أمة الإسلامية : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون:٥٢) ، لا تتمُّ التقوى إلا بهذه الوحدة .

رابعًا : التعاون :

ومن عناصر الأخوَّة : التعاون ، أن يعين الأخ أخاه . كيف تكون أخي وأكون أخاك ولا تُعينني في الشدَّة؟ لا بدَّ أن نتعاون ، الله تعالى يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (المائدة:٢) .

أعِن أخاك بما تستطيع ، إذا احتاج إلى إعانتك المادية أو الأدبية فأعِنه ، ولا تضنَّ عليه بمال ، ولا بجهد ، ولا بشيء ، فأخوك لك وأنت له ، وضعفه يعود عليك في النهاية ، وقوَّته تكون رصيدًا لك ، « المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان ، يشدُّ بعضُه بعضا »[1] .

خامسًا : التناصر :

ومن عناصر الأخوَّة : التناصر ، أن تنصر أخاك المسلم إذا استنصرك ، إذا طلب نُصرتك فلا تخذله ، النبي ﷺ يقول : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يُسْلمه »، لا يجوز له أن يظلم أخاه ، الظلم حرام حتى للكفَّار ، لا يجوز أن تظلم كافرًا ، فكيف تظلم أخاك المسلم؟ « لا يظلمه ، ولا يُسْلمه » ، ما معنى : يُسلمه؟ أي : يتركه ، ويخذله ، ولا يقوم بنصرته .

« المؤمنون كجسد واحد ، إذا اشتكى بعضه اشتكى كلُّه »[2]، وَحْدَةٌ عضوية بين المسلمين بعضهم وبعض ، فلا يجوز أن يتخاذل المسلمون ، ويُترك المسلم يفترسه الأعداء ، وأخوه المسلم يتفرَّج عليه ، كأنه ليس عضوًا منه .

---

(١) متفق عليه ، عن عبد الله بن عمر ، وقد سبق تخريجه صـ٥١ .

(٢) متفق عليه ، عن النعمان بن بشير ، وقد سبق تخريجه صـ٣٢ .

هذا ما لا يجوز في الأمة المسلمة . النبيُّ ﷺ يقول : «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». كان أهل الجاهلية يأخذون هذه العبارة على ظاهرها ، أي : انصر ابن قبيلتك ، سواء كان ظالمًا أو مظلومًا .

لا يسألون أخاهم حين يندبُهم في النائبات على ما قال برهانا[1]

إنهم مع ابن قبيلتهم في الحقِّ وفي الباطل . قيل عن بعض زعمائهم : هذا رجل إذا غضب ، غضب له عشرة آلاف سيف لا يسألونه فيم غضب؟

فجاء النبي ﷺ وقال : «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» . قالوا : يا رسول الله ، ننصره مظلومًا ، فكيف ننصره ظالمًا؟ الصحابة بما جاءهم من مفاهيم الإسلام عجبوا لهذه المقولة ، قالوا : معقول أن ننصره مظلومًا ، أما كيف ننصره ظالمًا؟ قال : «تأخذ فوق يديه»[2]. وفي رواية :«تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصرٌ له»[3]. إذا منعتَه من الظلم فقد نصرتَه على نفسه الأمَّارة بالسوء ، نصرته على هواه ، وعلى غرائزه ، وعلى شيطانه ، فأنت قدَّمتَ له خدمة ، وقدَّمت له خيرًا جزيلاً .

هذه هي حقوق الأخوَّة ، المسلم مع أخيه المسلم ، لا يَخْذله ، ولا يُسْلمه ، ولا يَدَعه يُغتال ، وهو واقف يتفرَّج لا يفعل شيئًا . يقول الشاعر :

إنَّ أخاك الحقَّ مَنْ كان معك ومَنْ يضرُّ نفسه لينفعك
ومَنْ إذا رَيْبُ الزمان صدعك شتَّت فيك شمله ليجمعك[4]

هذه هي الأُخوَّة الحقيقية .

عبادات الإسلام تؤكد معاني الأخوة :

هذا ما جاء به الإسلام ، جاء الإسلام ليقيم مجتمعًا متآخيًا على الحقِّ والخير ، وجاءت عبادات الإسلام تُؤكِّد معاني الأخوَّة :

---

(١) من شعر قريط بن أنيف العنبري .

(٢) رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٣)، وأحمد (١٣٠٧٩)، والترمذي في الفتن (٢٢٥٥)، عن أنس .

(٣) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢) ، عن أنس .

(٤) من شعر أبي العتاهية .

هذه صلاة الجمعة والجماعة تؤكِّد وتثبِّت معاني الأخوَّة ، معاني المساواة ، معاني الوَحْدة ، معاني المحبَّة . ليس في الصلاة أنَّ الصفَّ الأول للوزراء ، والصفَّ الثاني لوكلاء الوزارات ، والصفَّ الثالث لمديري العموم . لا ، بل مَن سبق إلى الصلاة وبكَّر أخذ مكانه في الصفوف الأولى ، أيًّا كان مركزه في المجتمع . هذه هي المساواة الحقيقية .

الزكاة تقرِّب ما بين الأغنياء والفقراء ، حتى لا يحسد الفقراء الأغنياء . يعلم الفقير أن مال الغنيِّ له فيه حقٌّ معلوم ، له فيه نصيب ، فلا يحسد صاحب المال .

الصيام يشعر فيه الجميع بالجوع ، حتى يُحسَّ الغنيُّ بجوع الفقير ، ويعلم أن له عنده حقًّا لا ينبغي أن ينساه .

الحجُّ تثبيتٌ للمساواة أكثر مما تثبِّته الجماعة في الصلاة . فالجماعة في الصلاة يقف بعضهم بجوار بعض ، ولكنهم أيضًا متفاوتون في أزيائهم ، وفي ملابسهم ، أما في الحجِّ فيخلع الجميع هذه الملابس التي تُميِّز بين الناس بحسب أقطارهم ، أو بحسب طبقاتهم ، أو بحسب مهنهم ، ويلبسون ثيابًا أشبه بأكفان الموتى ، هذا الإزار والرداء .

عبادات الإسلام إذَنْ تثبِّت الإخاء[1].

آداب الإسلام وأخلاقياته تُثبِّت معاني الإخاء :

تحيَّة الإسلام ، حينما يلقى المسلم أخاه المسلم يقول له : السلام عليكم . فيردُّ عليه : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . هذه التحيَّة من شأنها أن تُقرِّب بين الناس بعضهم وبعض[2].

---

(١) فَصَّل الشيخ القرضاي أثر العبادات في تثبيت معنى الإخاء بين أفراد المجتمع المسلم ، في حديثه عن أسرار العبادات ، في كتابه (العبادة في الإسلام) ، طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة .

(٢) يشير إلي ذلك الحديث : « . . ألا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشُوا السلام بينكم» . رواه مسلم في الإيمان (٥٤) ، وأحمد (٩٠٨٤) ، وأبو داود في الأدب (٥١٩٣) ، والترمذي في الاستئذان (٢٦٨٨) ، وابن ماجه في المقدمة (٦٨) ، عن أبي هريرة .

عيادة المريض ، اتباع الجنازة[1]، « والكلمة الطيبة صدقة »[2]، « تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة »[3]، « لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان في الطريق ، فيُعرض هذا ، ويُعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام »[4].

حتى إن الإسلام شرع هذا الأدب اللطيف : تشميت العاطس ، إذا عطس أخوك فحمد الله فقُل له : يرحمك الله . فيردُّ عليك : يهديكم الله ويصلح بالكم[5]. هكذا المجتمع الإسلامي مجتمع منفتح بعضه على بعض .

آداب الإسلام إذَنْ تثبِّت معاني الأخوَّة .

تشريعات الإسلام وأحكامه تثبِّت معاني الأخوة :

في الحديث : « لا يبع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه ، إلا أن يأذن له »[6].

---

(١) عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله بسبع ونهانا عن سبع ، أمرنا باتباع الجنائز ، وعيادة المريض . . . متفق عليه : رواه البخاري في الجنائز (١٢٣٩) ، ومسلم في اللباس (٢٠٦٦) ، كما رواه أحمد (١٨٥٠٤) ، والترمذي في اللباس (١٧٦٠) ، والنسائي في الجنائز (١٩٣٩) ، وابن ماجه في الكفارات (٢١١٥) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٨٩) ، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩) ، عن أبي هريرة .

(٣) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦) ، وقال : حديث حسن غريب ، وابن حبان في البر والإحسان (٥٢٩) ، وقال الأرناؤوط : صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨) ، عن أبي ذر .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في الأدب (٦٠٧٧) ، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٠) ، كما رواه أحمد (٢٣٥٨٤) ، وأبو داود في الأدب (٤٩١١) ، والترمذي في البر والصلة (١٩٣٢) ، عن أبي أيوب الأنصاري .

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله . وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله . فإذا قال له : يرحمك الله . فليقل : يهديكم الله ويُصلح بالكم » . رواه البخاري في الأدب (٦٢٢٤)، وأبو داود في الأدب (٥٠٣٣)، والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة (٩٩٨٩) .

(٦) متفق عليه : رواه البخاري في البيوع (٢١٤٠) ، ومسلم في النكاح (١٤١٣) ، وأحمد (٩٣١٠) ، وأبو داود (٢٠٨٠) ، والترمذي (١١٣٤) ، والنسائي (٣٢٣٩) ، وابن ماجه (١٨٦٧) ، أربعتهم في النكاح ، عن أبي هريرة .

وتحريم الربا جاء لأنه لا يجوز أن يستغلَّ الغنيُّ الفقير ، وأن يعتصره ، ليزداد الغنيُّ غنى ، ويزداد الفقير فقراً[1].

تحريم الخمر والميسر : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩١) .

وتحريم بيوع الغرر لما تُؤدِّي إلى التنازع والخصام .

كلُّ تشريعات الإسلام تحافظ على المجتمع المُوَحَّد ، المُتَحابِّ ، المتآخي . هذا ما يريده الإسلام ، يريد أن يجعل من المسلمين أمة واحدة ، ينظر أحدهم إلى أخيه كما ينظر إلى نفسه ، إذا أصابتهم شدَّة وقف الجميع كرجل واحد ، هكذا كان المسلمون ، وهكذا يجب أن يكون المسلمون في كلِّ عصرٍ وأوان .

لا يجوز أن يعيش الإنسان لنفسه .

الآفات الداخلية التى تفسد الأخوة :

هناك آفات داخلية نفسية أخلاقية تتسبَّب في فساد العلاقات بين الناس بعضهم وبعض ، من هذه الآفات :

١- الأنانية :

شرُّ ما يصيب الناس هو الأَثَرة ، الأنانية ، أن يقول كلُّ امرئ : نفسي نفسي ، أنا وليخرب العالم ، أنا ولتذهب الدنيا . لا ، إنما أنت جزء من كلٍّ ، إنما أنت عضو من جسد ، لا حياة لك إلا بحياة المجتمع ، الذي تعيش فيه ، ينبغي أن تفنى في المجتمع ، أن تذوب كما تذوب الشمعة لتضيء للمجتمع . هكذا ينبغي أن يكون المسلم الحقُّ .

---

(١) وهذه بالطبع إحدى الحِكَم - لا كل الحكم - التي لأجلها حُرِّم الربا ، والأصل المطَّرد الغالب عند الأصوليين أن تُبنى الأحكام الشرعية على العلَّة لا على الحكمة ، لأن العلَّة هي : الوصف الظاهر المنضبط . بخلاف الحكمة التي لا تنضبط ، وقد يختلف الناس في تحديدها وتقديرها . والعلَّة في تحريم الربا هي : الزيادة المشروطة على رأس المال مقابل الأجل وحده .

٢- العصبية :

أن يتعصَّب الإنسان لأسرته ، أو لقبيلته ، أو لبلدته ، أو لحيِّه ، أو إقليمه ، أو لمذهبه ، هذه العصبيَّة العمياء ليست من الإسلام في شيء .

النبيُّ ﷺ بريء من العصبية ، وجاء في الحديث :« ليس منا مَن دعا إلى عصبية ، وليس منا مَنْ قاتل على عصبيَّة ، وليس منا منْ مات على عصبية »[١] .

وجاء في الحديث الصحيح : « مَن قُتل تحت راية عِمِّيَّة[٢] ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جاهلية »[٣] . قِتْلَةٌ جاهلية أي : كأهل الجاهلية الذين كانوا يقاتل بعضهم بعضًا ، وهذا ما حذَّر منه النبيُّ ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض »[٤] .

٣- الكِبْر :

شعور الإنسان بالاستكبار ، النظرة إلى نفسه بعين الإجلال والإكبار وإلى الآخرين بعين الازدراء والاحتقار . وقد قال النبيُّ ﷺ : « بِحَسْبِ امرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم »[٥] .

حينما قال أحد الصحابة لبلال : يا ابن السوداء . غضب النبيُّ ﷺ وقال : « إنك

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥١٢١) ، عن جبير بن معطم ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٣٥) .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٥٧٦/٣) : « عِمِّيَّة » فِعِّيلة من العمَاء : الضَّلالة كالقِتال في العَصَبِيَّة والأهْواء . وحكى بعضهم فيها ضم العين .

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٨) ، وأحمد (٧٩٤٤) ، والنسائي في تحريم الدم (٤١١٤) ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٨) ، عن أبي هريرة .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في العلم (١٢١) ، ومسلم في الإيمان (٦٥) ، كما رواه أحمد (١٩١٦٧) ، والنسائي في تحريم الدم (٤١٣١) ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٢) ، عن جرير ابن عبد الله .

(٥) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) ، وأحمد (٧٧٢٧) ، وابن ماجه في الزهد (٤٢١٣) ، عن أبي هريرة .

امْرُؤٌ فيك جاهلية»[1] . وقد اعتذر هذا الصحابي - وهو أبو ذرٍّ - لبلال ، وقال له : ضع قدمك على خدِّي! ليشعر بالتواضع والذلَّة لأخيه المؤمن .

إنَّ الله لم يمدح الذلَّة في القرآن إلا في موضعين :

الأول : ذلُّ الإنسان لأبويه : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ (الإسراء:٢٤).

والثاني: ذلُّ الإنسان لإخوانه المؤمنين: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (المائدة:٥٤).

كان السلف إذا قيل لأحدهم : أنت مرائي ، أنت فاسق ، أنت كذا . فيردُّ عليه ويقول : يا أخي ، إن كُنتَ صادقًا فغفر الله لي ، وإن كُنتَ كاذبًا فغفر الله لك[2] . فيطفئ هذه النار بهذه الكلمة ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت:٣٤،٣٥) . هذا ما ينبغي لأهل الإيمان .

٤- سوء الظنّ :

من الآفات التي أصابت المجتمعات : سوء الظنِّ ، وهناك خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حُسْن الظنِّ بالله ، وحُسْن الظنِّ بالناس . وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشرِّ : سُوء الظنِّ بالله ، وسُوء الظنِّ بالناس . والله تعالى يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات:١٢) .

لا تظنَّ بأخيك السوء ، احمل حاله على أحسن المَحَامِل ، احْمل كلامه على أفضل الوجوه ، هذا ما ينبغي على المسلم .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٠) ، ومسلم (١٦٦١) ، كلاهما في الإيمان ، كما رواه أحمد (٢١٤٣٢) ، وأبو داود في الأدب (٥١٥٧) ، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٥) ، وابن ماجه في الأدب (٣٦٩٠) ، عن أبي ذر .

(٢) رويت عن عدد من التابعين مثل الشعبي ، وعلي بن الحسين ، وغيرهما .

سوء الظن بالناس الآن جعل الناس لا يثقون حتى بأقاربهم ، أصبح المثل السائد يقول : الولد كَمَدٌ ، والأخ فَخٌّ ، والعمُّ غمٌّ ، والخال وبال ، والأقارب عقارب! وهكذا ساء ظنُّ الناس بعضهم ببعض . وما كان الناس هكذا قبلنا ، فمَن الذي أدخل هذه المفاهيم على الناس؟ ينبغي أن يُحسن أحدنا الظنَّ بأخيه .

وهذا يترتَّب عليه آداب في التعامل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ (الحجرات:١١) لا يَعِب بعضكم بعضًا ، ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾ ، لا ينادي بعضكم بعضًا بألقاب يكرهها ، ﴿ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ ﴾ (الحجرات:١١،١٢).

لماذا نفَّر الإسلام من الغِيبة هذا التنفير ، ونفَّر من النميمة ، حتى قال النبي ﷺ : « لا يدخل الجنَّة قتَّات »[1] أي : نمَّام؟ لأن النمَّام يسعى بين الناس بالوقيعة ، فيُقطِّع الروابط ، وينقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد فيما بينهم .

الآفات الخارجية التي تفسد الأخوة :

يا أيها الإخوة : هناك آفات داخلية ، آفات نفسية أخلاقية ، ينبغي أن نحذر منها . ذكرنا أهمها . وهناك عوامل خارجية تريد أن تُمزِّق مجتمعاتِنا ، تريد أن لا تُبقي رابطة فيما بين بعضنا وبعض .

إثارة العوامل المفرِّقة للأمة :

في كلِّ مجتمع يصنعون له أشياء تفرِّق فيما بينه . في بعض البلاد يخترعون أسبابًا دينية : مسلمون ونصارى . فإذا لم يكن هناك أمور دينية يخترعون أسبابًا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الأدب (٦٠٥٦) ، ومسلم في الإيمان (١٠٥) ، كما رواه أحمد (٢٣٢٤٧) ، وأبو داود في الأدب (٤٨٧١) ، والترمذي في البر والصلة (٢٠٢٦) ، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير (١١٥٥٠) ، عن حذيفة بن اليمان .

عنصرية : عرب وأكراد ، أو عرب وبربر . أو أسبابًا إقليمية : شماليون وجنوبيون كما في السودان . أو أسبابًا مذهبية : سنة وشيعة . أو أسبابًا أيديولوجية : تقدُّميون ورجعيون ، أو يمينيون ويساريون . حتى بين الإسلاميين بعضهم وبعض : هذا مذهبي وهذا لا مذهبي ، هذا من أهل الحديث وهذا من أهل التصوُّف . وهكذا ، لم يَدَعُوا شيئًا إلا أدخلوا فيه أسباب الفرقة .

ونحن نستجيب لهذه العوامل المُخرِّبة ، والمُهدِّمة ، ويكيد بعضنا لبعض ، وهذا ما لا يجوز .

لا يجوز لأبناء الإسلام إلا أن يكونوا يدًا واحدة على أعدائهم ، إلا أن يكونوا في وجهة واحدة .

الله سبحانه وتعالى جمعهم على الإسلام ، جمعهم على القرآن ، جمعهم تحت راية محمد عليه الصلاة والسلام ، فلا يجوز أن يتفرَّقوا ، ولا يجوز أن يُجَافي بعضهم بعضا ، أو أن يعادي بعضهم بعضًا ، ناهيك أن يقاتل بعضهم بعضًا ، كما رأينا للأسف بين بعض المسلمين وبعض .

نحن مجتمع واحد ، مجتمع مسلم ، مجتمع يقوم على الإخاء : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات:١٠)، مثل (مجتمع المدينة) المثالي قال الله فيه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال:٦٢،٦٣).

بحسبنا ـ أيها المسلمون ـ أن نعلم أننا أهل قِبلة واحدة ، وأهل دين واحد ، وأنَّ غايتنا هي الله ، وأنَّ منهاجنا هو منهاج رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٣).

نحن أحوج ما نكون إلى الأخوَّة ، وإلى تثبيت معاني الأخوَّة في كلِّ وقت ، وفي هذا الوقت بصفة خاصَّة ، فالأمة الإسلامية تتعرَّض لهجمات أعدائها : اليهود

يريدون أن يبتلعوا القدس ـ أو قولوا : قد ابتلعوها . كادت القدس تضيع ، المسجد الأقصى تحته الحفريَّات ـ العراق يُهدَّد بالضرب ، السودانُ يضرب من الجنوب ، ليبيا تُهدَّد . كلُّ بلد فيه مشكلة من المشكلات .

وجوب نسيان الخلافات في وقت المعركة :

ما أحوجنا إلى أن يضع كلٌّ منا يده في يد أخيه . في وقت المعركة يجب أن ينسى الجميع خلافاتهم الجانبية ، ويقفوا صفًّا واحدًا ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف:٤) . هكذا ينبغي للمسلم أن ينظر إلى إخوانه هذه النظرة .

لا يجوز للمسلم أن يستحلَّ دماء إخوانه ، ولا أن يستحلَّ أموالهم ، ولا أن يسعى في تخريب أو تدمير أو قتل أو اغتيال ، فإنَّ الله حرَّم على كلِّ مسلم دم أخيه المسلم ، كما قال عليه الصلاة والسلام :« كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه »[1].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمتنا على الهدى ، وقلوبنا على التُّقى ، ونفوسنا على المحبَّة ، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل . اللهم آمين .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) ، وأحمد (٧٧٢٧) ، وأبو داود في الأدب (٤٨٨٢) ، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٧) ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٣٣) عن أبي هريرة .